

خشية الله والخوف منه

30.09.11

أيها الناس: اتقوا الله- تعالى وخافوه واخشوه وحده ولا تخشوا أحدا غيره وكما قال الفضيل: من خاف الله- لم يضره أحد، ومن خاف غير الله- لم ينفعه أحد قال تعالى: ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾، ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾.

أيها الإخوة: سوف يكون حديثي في هذه الخطبة عن مقام الخوف من الله- عز وجل وسبب اختياري لهذا الموضوع هو ما أراه وأشاهده من بعد الناس عن الله وتجرؤهم عليه بأنواع المعاصي والذنوب ولهذا إذا زاد الإيمان في قلب المؤمن لم يعد يستحضر في قلبه إلا الخوف من الله، والناس في خوفهم من الله- متفاوتون ولهذا كان خوف العلماء في أعلى الدرجات وذلك لأن خوفهم مقرون بمعرفة الله- مما جعل خوفهم مقرون بالخشية كما قال تعالى: **﴿ إنما يخشى الله- من عباده العلماء ﴾** والخشية درجة أعلى وهي أخص من الخوف، فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية، كما قال النبي : **﴿ إنني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية ﴾** وقال: **﴿ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم إلى الصدقات تجأرون إلى الله . ﴾**

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله- عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **الخوف المحمود:** هو ما حجزك عن محارم الله- وهذا الخوف من أجلّ منازل السير إلى الله وأنفعها للقلب وهو فرض على كل أحد.

ولهذا كان السلف الصالح يغلبون جانب الخوف في حال الصحة والقوة حتى يزدادوا من طاعة الله- ويكثرُوا من ذكره ويتقربوا إليه بالنوافل والعمل الصالح.

والبكاء من خشية الله - سمة العارفين قال عبد الله - بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: لأن أدمع دمعاً من خشية الله - أحب إلي من أن أتصدق بمئة ألف درهم.

وفي الختام أحب أن أذكر نماذج من خوف بعض الصحابة والتابعين:
فهذا أبو بكر أفضل رضي الله عنه رجل في هذه الأمة بعد رسول الله - نظر إلى طير وقع على شجرة فقال: ما أنعمك يا طير، تأكل وتشرب وليس عليك حساب وتطير ليتني كنت مثلك، وكان رضي الله عنه كثير البكاء وكان يمسك لسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد) وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله -، وهذا عمر الرجل الثاني بعد أبي بكر قال لابنه عبد الله - وهو في الموت: (ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني ثم قال: بل ويل أمي إن لم يغفر لي ويل أمي إن لم يغفر لي)، وأخذ مرة تبنه من الأرض فقال: (ليتني هذه التبنة ليتني لم أكن شيئاً، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت منسياً)، وكان رضي الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فتخيفه، فيبقى في البيت أياماً معاد يحسبونه مريضاً، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء، وهذا عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبلى لحيته وقال: (لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصيرُ وهذا ابن عباس رضي الله عنه كان أسفل عينيه مثل الشراك البالي من البكاء.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

ثم أما بعد:

أيها الإخوة: لم يكن سلفنا الصالح يخافون ويكفون ويتضرعون نتيجة تقصيرهم أو نتيجة عصيانهم وكثرة ذنوبهم، كلا بل كانوا يخافون أن لا

يتقبل الله منهم ولهذا لما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: ((لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه))، قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية وإن المنافق جمع إساءة وأمنا. وكان خوفهم أيضا من أن يسلب أحدهم الإيمان عند قوته يقول ابن المبارك: إن البصراء لا يأمنون من أربع خصال: ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الرب فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما فيه من الهلكات، وفضل قد أعطى لعله مكر واستدراج وضلالة قد زينت له فيراها هدى ومن زيغ القلب ساعة ساعة أسرع من طرفة عين قد يسلب دينه وهو لا يشعر. وهذا سفيان الثوري رحمه الله. كان يكثر البكاء فقيل له: يا أبا عبد الله بكائك هذا خوفا من الذنوب، فأخذ سفيان تبنياً وقال: والله للذنوب أهون على الله من هذا ولكن أخاف أن أسلب التوحيد. وهذا أبو هريرة رضي الله عنه كان يقول في آخر حياته: (اللهم إني أعوذ بك أن أزنبي أو أعمل كبيرة في الإسلام)، فقال له بعض أصحابه: يا أبا هريرة ومثلك يقول هذا أو يخافه وقد بلغت من السن ما بلغت وانقطعت عنك الشهوات، وقد شافهت النبي ﷺ وباعته وأخذت عنه، قال: (ويحك، وما يؤمنني وإبليس حي). وكان بلال بن سعد يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب، وتبعات الذنوب ومن مرديات الأعمال ومضلات الفتن، ختام ودعاء